المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 22-11-2005 العـــدد : 12108
الصفحـات : 86 المسلسل : 253

فارس المجد

ملف صحفي

الجانب الإنساني من أخلاق الملك القائد

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 22-11-2005 العـــدد : 12108
الصفحـات : 86 المسلسل : 253

من أعظم نعم الله – تعالى – على أيّ شعب من الشعوب، وأمّة من الأمم أن يقيّض لها حكّاماً صالحين، وولاة أمر يقولون بالحق، وبه يعدلون، لأنّ في ذلك صلاحاً للأمّة، وراحة وأمناً واطمئناناً ورغد عيش للشعب.

وقد منّ الله – تعالى – وأنعم على المملكة العربية السعودية بنصيب عظيم من هذه النعمة الجليلة، وأسبغ عليها بحظ وافر من هذا الفضل العميم، بأن قيّض لها إماماً عظيماً، وملكاً عادلاً، ومجاهداً مخلصاً، هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل – طيّب الله ثراه – الذي وحّد أرجاء الجزيرة العربية على قواعد الإسلام، وأرسى دعائم العدل والحرية والمواساة.

وكان من أجلّ أعمال هذا الإمام المجاهد – رحمه الله – أنّه سار في حكمه للبلاد على هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومنهج خلفائه الراشدين المهديين، وربّى أنجاله، ونشّأ أبناءه على هذا الهدي والمنهج قولاً وعملاً، خلقاً وسلوكاً.

وقد كان لهذه التربية الصالحة، والتنشئة العلمية الفاضلة الأثر البالغ – بتوفيق الله – في وصول المملكة في ظرف وجيز، ووقت قصير إلى ما وصلت إليه من التطوّر والتقدم والرقي والتفوق والتحضّر في جميع المجالات دون استثناء، مع المحافظة التامة على القيم الدينية، والتمسّك بالشرائع الإسلامية، والخصوصية الأصيلة للشعب السعودي المسلم، على أيدي أبناء الملك المؤسّس من بعده.

ومما هو معلوم عند الخاصة والعامة أنّ أشبه الناس بالإمام المجاهد الملك والمؤسّس – رحمه الله – هو: خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز – حفظه الله ورعاه – فهو أحرص الناس على السير على منهاج والده، والاهتداء بهديه، والاقتداء بسمته، وإذا أردنا الحديث عن جميع تلكم الصفات، وتفصيل القول في كلّ سجيّة من سجاياه العظيمة، وإبراز كلّ خصلة من خصاله الحميدة، فإنّ الحديث فيه سيطول، ولن يتسع المقام لذلك.

وإذا كان الأمر كذلك فإننا سنحصر الكلام في الجانب الإنساني من صفات هذا القائد العظيم، وهو جانب بارز في غاية الظهور في شخصية الملك المفدّى – حفظه الله – فاستحق بذلك – عن جدارة – أن يلقّب بـ(ملك الإنسانية) وأن تلقّب المملكة به بمملكة الإنسانية، ولا يتسع المقام أيضاً لتفصيل الكلام في هذا الجانب العظيم من شخصية الملك الفذّة، ولذا سنقتصر فيه على المظاهر التالية:

المظهر الأول:

إنّه أبرز من يطبّق سياسة الباب المفتوح أمام المواطنين على اختلاف مقاماتهم، دون تمييز، أو تفريق بين مواطن وآخر، فتراه يستقبلهم استقبالاً يفيض بكلّ معاني الإنسانية، فتجده – وهو الملك القائد – يحنو على الشيخ الكبير، ويعطف على العاجز، ويستمع إلى طلباتهم بكلّ عناية واهتمام، بل ويساعدهم على الجلوس، والقيام، والنهوض، على نحو صار مضرب المثل، ومثار الإعجاب عند كلّ من يشاهد هذه المشاعر الإنسانية المؤثّرة.

المظهر الثاني:

تفقّده للمحتاجين، وخروجه بنفسه لزيارة الأحياء الفقيرة، ودخوله إلى بيوت المعوزين، واطلاعه بنفسه على أحوالهم، والوقوف على احتياجاتهم، والاستماع إليهم، والحديث معهم بغاية التواضع، والعمل على إزالة معاناتهم، والتوجيه برفع مستواهم وقضاء حوائجهم، مما يذكّرنا بنهج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين.

المظهر الثالث:

عنايته الفائقة، واهتمامه

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 22-11-2005
الصفحـات : 86
العـــدد : 12108
المسلسل : 253

البالغ بالمرضى، وذوي الاحتياجات الصحية، فما إن يبلغه حاجة مريض إلى علاج أو إجراء عملية جراحية متقدمة، حتى يوجه بعلاجه، وإجراء اللازم، دون نظر إلى كونه مواطناً، أو غير مواطن، من داخل المملكة أو من خارجها؛ لأن المشاعر الإنسانية لا تحدها حدود، ولا ترتبط بعرق أو جنس، فكم من عملية جراحية كبرى أجريت في المملكة بتوجيه مباشر منه - حفظه الله - وعلى نفقته الخاصة، لأطفال، ونساء، ورجال، من جميع أنحاء العالم .. من آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، حتى صار - أيده الله - ملاذاً، ومقصداً لكل من احتاج إلى معالجة طبية كبيرة، ولا يكتفي بذلك، بل تراه يقوم بزيارة من أجريت لهم العمليات - وإن كانوا أطفالاً رضعاً - ويطمئن عليهم بنفسه، في منظر إنساني، وموقف وجداني، يعجز

المرء عن وصفه، ولا تملك القلوب إلا أن تخفق تأثراً، وتنبض حباً وتقديراً.

المظهر الرابع:

إنه أول ملك في عصرنا الحاضر، يأمر شعبه وأمته، أن يتركوا كل المظاهر التي قد تتنافى مع كرامة الإنسان، أو تجرح مشاعره، أو تمس أحاسيسه، ولو كان ذلك معه هو بنفسه، فمنع أن يخاطبه أحد بلقب (مولاي) أو أن يقبل أحد يده، لأن مولى المؤمنين هو الله - تعالى - كما قال الله - عز وجل -: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا (11) } [سورة محمد]. ولأن تقبيل اليد يتطلب الانحناء وخفض الرأس، وكل ذلك يمس المشاعر الإنسانية، فلا ينبغي ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي تخضع له الرقاب، وتسجد له الجباه.

ولا شك ولا ريب أن هذا من الملك المفدى يعد من أسمى وأرقى المشاعر الإنسانية، والعواطف النبيلة، ولا تصدر إلا من قائد يريد أن يكون شعبه عزيزاً أبياً، مرفوع الرأس، لا يذل، ولا يستكين إلا لله الذي خلقه - عز وجل -.

وهذا الجانب الإنساني العظيم، والخلق السامي الرفيع في شخصية الملك المفدى، ينبئ عن أخلاق إسلامية أخرى، كالشهامة، والنخوة، والحلم، والرأفة والرحمة، والتواضع، وفوق ذلك كله تقوى الله - عز وجل - والاقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم -.

وقد كان لهذه الأخلاق الكريمة، والسجايا الفاضلة آثار عظيمة في شخصية خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - نذكر منها آثرين يدلان على غيرهما:

الأثر الأول: أن الله - سبحانه وتعالى - وهبه علو مكانة، وزاده رفعة منزلة فوق منزلة الملك، وهذه سنة الله - تعالى - في كل من تواضع لله - عز وجل - يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الأثر الثاني: أن الله - تبارك وتعالى - حببه إلى الناس، وغرس مودته في قلوبهم، ورسخ محبته في أفئدتهم، لأنهم رأوا فيه إنساناً محسناً، ورجلاً متواضعاً، وقائداً حليماً، وملكاً نذر نفسه لخدمتهم، وسعادتهم، ورفاهيتهم والدفاع عنهم، وعلى هذا فلا تملك القلوب إلا أن تحبه، والعقول إلا أن تجله، والألسنة إلا أن تثني عليه، وتلهج بالدعاء له: ولهذا نرى المواطنين جميعاً تغمرهم السعادة، ويملؤهم الفرح والسرور عندما يقوم الملك المفدى خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله ورعاه - بزيارة أي مدينة من مدن المملكة الحبيبة، فترى الجميع صغاراً وكباراً، شباناً وشيباً، يريدون السلام على القائد الإنسان، والملك العادل، والجميع يحتفل بمقدمه، ويبتهج برؤيته، وهذه المكانة لا يبلغها إلا الندرة من القادة، والقلة القليلة من الملوك، وهذا فضل الله - تعالى - يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد رأينا هذه الحفاوة العظيمة، والاحتفال الكبير بالقائد العظيم، والملك المجاهد، من أهالي مكة المكرمة، بمناسبة تولّيه مقاليد الحكم في المملكة في مشهد بديع، وموقف مهيب، يجسد التفاف الشعب حول القائد، والتلاحم الرائع بين الملك والمواطنين.

ويأبى أهالي منطقة الرياض - بتقديمهم أمير هم الجليل المحبوب سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - إلا أن يعبروا عن حبهم، وولائهم، وإخلاصهم، ومبايعتهم لقائد المسيرة، وموجه النهضة، في هذا الاحتفال الكبير، والحفاوة المنقطعة النظير، للتدليل على ما يكنّه أهالي الرياض، وأميرهم القد الأمير سلمان بن عبد العزيز، من عظيم الإخلاص، وجليل الوفاء، وكبير المودة والإجلال والتقدير، لخادم الحرمين الشريفين، نسأل الله - تعالى - أن يديم على هذه البلاد الطاهرة نعمة الأمن والأمان، ويطيل في عمر قائدنا الهمام، وملكنا الإنسان، ويسبغ عليه ثوب الصحة والعافية، ويجزل له عظيم الأجر، ووافر المثوبة على جهوده وجهاده في حماية الوطن، والذود عن حياض الأمة، وخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ عضده الأيمن، ولي عهده الأمين، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، إنه سميع مجيب.

سعود بن عبد الله بن طالب

وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للشؤون الإدارية والفنية